

المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني

Secret missions for the redemption of Christian captives in
Algeria during the Ottoman period

أ.د.باب بومدين / مخبر الجزائر تاريخ و مجتمع

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر

Boumediene.debbab@univ-mosta.dz

تاريخ الإرسال: 27/09/2017 ؛ تاريخ القبول: 03/04/2018

Summary:

The Christian captives in Algeria in the Ottoman era raised European public opinion, which prompted many studies and articles to be written and published, the more organs of redemption played a role in convincing their people and fueling the “ Spirit of striking Algeria”, and presented their country's services in the context of the secret war that preceded the military interventions, while Arab sources were silent on the subject and even speak of the case of Muslim prisoners of European countries.

Key-words: Ottoman era; Algeria; captives.

ملخص:

لقد أثارت قضية الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني الرأي العام الأوروبي، مما دفع إلى تأليف ونشر العديد من الدراسات والمقالات، وقد لعبت هيئات الافتداء دورا بارزا في إقناع شعوبها بضرورة تأجيج الروح الصليبية والاتجاه لضرب الجزائر؛ مقدمة خدمات لبلدانها في إطار الحرب السرية التي سبقت التدخلات العسكرية، في حين سكنت المصادر العربية عن هذا الموضوع بل حتى التحدث عن حالة الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: الأسرى، المسيحيون، الجزائر، العهد العثماني.

لقد ظلت عملية افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني؛ ولدة طويلة موردا للرزق ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط اقتصاد إيالة الجزائر، فقد كانت عملية مربحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين الذين أطلقوا عليها تسمية "التجارة الأدمية"؛ ويقدر ما كانت نعمة على العثمانيين كان لمفتدي الأسرى المسيحيين عدة مهام خفية يراد تحقيقها من وراء عمليات الافتداء.

1- إجراءات افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني؛

لقد كانت غنائم البحر من الأسرى المسيحيين تخضع في بداية الأمر للبيع عن طريق المزاد في الأسواق المحلية التي عرفت بـ "البادستانات" والثاني عند افتدائهم علي يد رجال الدين، أو عن طريق اليهود الذين تخصصوا في عمليات افتداء الأسرى لإعادة بيعهم في أسواق مدينة ليفورنه وأهم التجار اليهود الذين ساهموا في شراء الأسرى المسيحيون؛ مولكو، آرون إزرائيل دي تونس، دفيد كويون صالون، بوشعرة، أزاك سليمان⁽¹⁾.

لقد اعتبرت عملية افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني صفقة تجارية؛ تتطلب مجموعة من الإجراءات بداية بدفع مجموعة من الحقوق والرسوم فعلى كل 10 بوجو يدفع لخزينة الدولة 01 بوجو أي 10 % وعلى وصل الافتداء 12 ريال ونصف هذه القيمة موجه للخزينة⁽²⁾، أما عن عمليات الافتداء فكانت مضبوطة طريققتها فمع الوصول إلى الجزائر يقدم المبعوث نفسه إلى سلطات الميناء مصرحا بالمبلغ المالي الذي يحمله معه⁽³⁾، وهناك مستحقات أخرى يجب دفعها فللداي عن كل أسير 02 ريال من الحجم الكبير وللكاتبين وخوجة الدفتر 01 ريال ولقائد الميناء وكتابة البحرية نصف ريال، ويدفع للمترجمين الانجليز والفرنسيين 01 ريال ولترجم الباشا ثمن ريال⁽⁴⁾، وبعد الاتفاق تدفع رسوما أخرى تعرف بحق الباب على حد تعبير لوجي دوتاسي والتي لخصها في الجمارك (القمرق)، حق قفطان الباشا، الكتاب الكبار، قبطان الميناء⁽⁵⁾.

إلى جانب هذه الشروط الإجرائية كان لابد من الحصول على وثيقة الجواز للآباء المقترحين لعمليات الافتداء وللسفينة التي تحملهم، هذا الترخيص منحه داي الجزائر محمد باشا (1748-1754) للبعثة الدينية الاسبانية المنتسبة لمجموعة الثالث المقدس التي افتدت عددا من الأسرى الإسبان المحتجزين في الجزائر سنة 1749⁽⁶⁾.

لقد صنف الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني إلى ثلاثة مجموعات؛ فالمجموعة الأولى احتفظ بها الداي للعمل في القصر وسميوا بأسرى الداي أما الثانية فهي تابعة للدولة وأطلق عليهم أسرى البايك والثالثة تابعة للخواص⁽⁷⁾.

وليس كل الأسرى المسيحيين بإمكانهم الاستفادة من عمليات الافداء؛ فكل من يكون مفيدا في أحواض بناء السفن أو مصاهر المدافع لا يفرض فيه، وتعطى الأولوية للمرأة الشابة والأطفال قبل كبر سنهم خوفا من تغيير ديانته⁽⁸⁾.

وحين يدفع مبلغ الفدية يسلم الأسير إلى المبعوث ويعطى له معظما ابيض اللون كرمز عن تحريره، وحينئذ يقود رجال الدين كل الأسرى المفتدين إلى البلدية حيث تصدر لهم شهادة الحرية؛ ويأخذ المبعوث من الداي إذنا رسميا بالمغادرة ويقود أسراه إلى الميناء للصعود إلى السفينة وتستخلص منه 10 % كقيمة إضافية على مبلغ الافداء قبل أن يسمح له بالمغادرة، ولم يكن مرخصا لإقلاع السفينة دون الحصول على الرخصة المسماة التذكرة quittance مختومة من الداي؛ فهي ضرورية لعملية التصدير نحو الخارج.

2- المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين بالجزائر:

بالإضافة إلى الرعاية الصحية و الروحية التي كانت ترافق عمليات افتداء الأسرى المسيحيين من طرف قساوسة الفداء والتنظيمات الدينية المسيحية والوكلاء اليهود، إلا أن ذلك لم يخلو من القيام بعدة مهام خفية تتمثل فيما يلي:

أولا. الدعاية:

لقد أسالت قضية الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني الكثير من الحبر في العالم الأوروبي حيث كانت الموضوع الرئيسي والسهل لأغلب الأعمال الأدبية الأوروبية؛ وعرفت آنذاك بأدبيات الأسر والفداء⁽⁹⁾، وذلك من خلال النشاط الدعائي الذي كان يقوم به قساوسة الفداء حيث يستخلص من كتاباتهم وتقاريرهم آليات الدعم الدعائي والعدائي ضد الجزائر عبر مجالات مختلفة كتصوير وتسويق صورة سوداء عن حياة ومعاناة الأسرى وكذا الطعن في الرموز المقدسة والثابتة للمجتمع الجزائري؛ والتركيز على أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام.

فالبنسبة لمعاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر؛ تتفق معظم كتابات مفتديهم والرحالة والقساوسة على أنهم كانوا يعاملون كالحوانات ويتعرضون لمختلف الذل

والهوان؛ يقيمون في السجون مكبلين بالسلاسل الحديدية، وقد لخص القس هايدو هذه الحالة قائلا: "...يعيش الأسرى في الجزائر" البربرية" حياة بائسة....إننا هنا لانجني إلا الأشواك التي تؤلمنا وتدمينا....نحن رعايا بائسين لانحيى حياة وإنما بلاء...." (10).

وفي ظل غياب المصادر المحلية التي تطرقت للموضوع لا يمكننا أن نسلم بصدق الادعاءات الأوروبية بل يجب وضعها تحت المجهر ومقارنتها بكتابات معاصرة لها تضمنتها ملاحظات الرحالة وتقارير القناصل؛ فالحالة الاجتماعية التي يتمتع بها الأسير في بلاده هي اكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التي سيحظى بها في الجزائر، فالذين يحملون الاثقال أو يعملون في النشاط الفلاحي أو جذاقون في السفن كانوا تقريبا هم الذين كان عملهم في أوروبا شاقا ولا سيما خلال القرن 16م (11)، كان "بانانتي" قد ساق إلينا في حديثه عن أوضاع الأسرى المساوية في الجزائر بأنهم محرومون من اللباس والغذاء باستثناء قطعتين من الخبز يوميا (12)؛ فان لوجي دو تاسي لاحظ بان هناك أسياد يعاملون أسراهم برفق؛ ووجد أسرى في بيوت الأثرياء لخدمتهم يلبسون ثيابا حسنة المظهر ويطعمون طعاما جيدا وينامون مع مالكيهم في غرف نومهم وكانوا محل ثقافتهم وكان البعض منهم يعلن إسلامه فيصبح وارثا لتركته مالكة (13) أما شالرفقد أورد قائلا "...أنه من الإنصاف القول بان حالة الأسرى المسيحيين بالجزائر لم تكن أسوأ من أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضرة، فالأسيرات كن يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، والأشغال التي كان يطلب الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة...." (14)، أما "إيمانويل داراندا" فقد قضى أوقاتا جميلة مع سيده "مصطفى كارتابون" حيث كان يجلس معه على الطريقة التركية يبادل أطراف الحديث ويأكل معه الوجبات الفاخرة في طبق واحد.

ويضاف إلى ذلك حياة الأسرى داخل السجون فالبرغم من مساوئها التي ذكرها "كاثكارت" في مذكراته والمتمثلة في نقص شروط الصحة والنظافة وكثرة السرقة وانتشار العنف والشغب بداخلها (15)، إلا أنه وبحكم تعدد جنسيات الأسرى فإنه اعتبر ناديا للتعارف على حد تعبير "إيمانويل داراندا" بقوله: "... لا توجد جامعة أحسن من سجن الجزائر فهناك نتعلم الطب والجغرافيا واللغات... فالرق ضروري للمسيحيين إذ يعلمهم الانفتاح...." (16) ففي سجون الجزائر كتب "سرفنتيس" أحسن تأليف في الأدب

العالمي وهي رواية "دو كيشوت" التي ترجمت إلى عدة لغات، أما "لوجي دو تاسي" الذي كان سجيناً في حرب إسبانيا سنة 1706 حيث تلقى معاملة قاسية فقد صرح قائلاً: "... أفضل قضاء عشر سنوات كرقيق في سجون الجزائر على أن لا أقضي سنة واحدة في سجون إسبانيا...." (17).

وبالتالي فإن دعاية الرهبان العاملين على افتداء الأسرى مبالغ فيها، إذ لا يمكن أن نعمم حكمهم القائل بالوضع المزري فهناك معايير تحكم في نوعية العلاقة بين الأسير ومالكه تتوقف على طبيعة المالك ومزاجه الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للأسير في بلده الأصلي وذكاءه مع سيده في الجزائر.

وفي إطار هذه الدعاية المغرضة للرهبان والقساوسة فقد طالوا بكتاباتهم أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للدين الإسلامي رغم حصولهم على حصة الأسد في ممارسة الديانة المسيحية واحتفالهم بأيام نهاية الأسبوع، وفي هذا الصدد يشير "غراماي" الذي أقام بالجزائر لمدة ستة أشهر سنة 1619 إلى بعض الإحصائيات للمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام بين سنوات 1609 - 1619 (18).

الجنسيات	ألمانيا	انجلترا	فرنسا	هامبورغ	الدانمارك	هولندا	بولونيا	بلجيكا
العدد	867	300	130	138	60	60	250	130

جدول (1): الأسرى المسيحيون المعتنقون للدين الإسلامي بين سنوات 1609 -

1619.

وهذا ما أثار مخاوف الدول الأوروبية، أما الأب "دان" فقد فصل الكثير في هذه الأسباب فالنسبة إليه؛ عدم تحمل حياة الشقاء في الرق وفقدان الأمل في الحصول على الفداء والحرية ورغبة الأسرى في الانتقام من أسيادهم والإغراء الممارس عليهم كانت أسباب كافية لتحول الأسرى عن ديانتهم الأصلية واعتناقهم الدين الإسلامي؛ كما كان هناك سيدات راقيات من تزوجن بأسراهن من أجل إدخالهم إلى الإسلام (19)، وكثيراً من النساء الأسيرات قد تخلين عن ديانتهن وتزوجن مالكهن كما فعلت الشابة الإيطالية "مارية دي غايتانو" التي تزوجت خير الدين باشا حين ناهز الخمسين من عمره (20).

وبالتالي فإن إكراه الأسرى المسيحيين على اعتناق الإسلام من قبل ملاكهم لم يكن قاعدة كما روجت له المصادر الأوروبية وإنما استثناء؛ حيث هناك بعض الأسرى

تركوا المسيحية واعتنقوا الإسلام قناعة وبرهنوا عن اندماجهم في المجتمع الجزائري ، فعلى علي الذي حكم الجزائر بين سنوات 1568- 1572 وهو من أصل ايطالي ، عبر عن إسلامه بهذه العبارات: ".... الله هو الذي جعلني تركيا، قطعوني إربا، احرقوني؛ لن أقول غير هذا، أنا تركي وأريد أن أموت تركيا...." (21).

بالإضافة إلى ذلك تحاملت كتابات المفتدين بالطعن في الرموز الثابتة للمجتمع الجزائري كالعادات والتقاليد والدين الإسلامي؛ ووصل بهم الحد إلى غاية التشكيك في ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في تاريخ مكة والمدينة المنورة.

ثانيا. الجوسسة:

لعبت فئة الأسرى دورا كبيرا في عملية الجوسسة حيث سمح لوجود اعداد كبيرة منهم في مراكز القوة بالجزائر تدوين معلومات وتقارير مفصلة حولها، وكانت اغلبها تشجع على ضرورة غزو الإيالة الجزائرية وذلك في إطار الحرب السرية المعلنة ضد الجزائر منذ زمن بعيد المعتمدة على الدسائس فلا يوجد فرق بين جندي مسيحي وجاسوس ماعدا أن الأول عدو ظاهر والثاني متخفي متستر على حد تعبير الأستاذ مولاي بلحميسي (22).

كما ان الرهبان وقساوسة الفداء ونتيجة تعاملهم مع مختلف فئات الحكام والمحكومين بالجزائر خلال العهد العثماني ؛ سمح لهم ذلك بتقصي الأوضاع والتعرف على نقاط الضعف والقوة داخل الإيالة الجزائرية كما درسوا عادات وتقاليد الجزائريين وفق تقارير أرسلت إلى بلدانهم الاصلية تثير الحقد الصليبي المسيحي ضد مسلمي الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وبذلك نصبوا أنفسهم منظرين للحملات الأوروبية الحربية ضد الجزائر ويتضح هذا التأثير من خلال النماذج الآتية الذكر:

- في سنة 1603 قتل الأب "الفرانسيسكاني" لأنه هرب خمسة أسرى بالإضافة إلى حملته تقارير مكتوبة موجهة الى ملك اسبانيا (23).

- في سنة 1689 كتب الأب "جيانولا" تقريرا مفصلا أبدى فيه رضاه عن الاستقبال الذي حظي به في الجزائر ووضح طريقة القضاء على الإيالة بهذه العبارات: ".... هذا البلد الذي يمثل الجحيم بالنسبة للجميع فهو في منظوري يستحق تعزية ومواساة...." وبالتالي هون مأمورية الغزو الأوروبي للجزائر (24).

- في سنة 1619 وصف "غراماي" الجزائر من الداخل والخارج كما صور حياة ومعاونة الأسرى ودرس الوسائل الناجعة لتحطيم الجزائر وجميع إيلات المغرب الإسلامي في إطار عمل سماه "l'africa illustrata" * ؛ حتى أن "جون بوشي" أبدى موافقته لعمل "غراماي" بهذه العبارات: "... انه لايتعارض مع الإيمان ولا مع العادات الحسنة...ولهذا العمل الفضل في تبين الوسائل الناجعة لاسترجاع المسيحيين من إفريقيا لذا فهو يستحق الطبع...." (25).

ويتضح من خلال الأمثلة المقدمة أن القساوسة كانوا عيون أوروبا في الجزائر لذلك عملت الدول الأوروبية على استثمار تقاريرهم فور قدوم أول فرصة جديدة لاحتلال الجزائر ؛ فالفرنسيون بعد معركة نافارين 1827 استخرجوا من خزائن أرشيفهم التقارير والتنبؤات التي كتبها أساقفتهم حول الجزائر خاصة تلك التي كتبها الأسقف "بوسوي" والتي جاء فيها مايلي مخاطبا فيها سكان الجزائر: "...ستسقطين تحت أقدام غالبك.... وتقولين ياجزائر الغنية بغنائمك وسيدة البحار.... والسفن التي تملأ الثقة بنفسك.... ولكنك ستهاجمين في عقر دارك مثل نسر يصطاد في عشه من بين الصخور المستعصية...." (26).

ثالثا. التبشير:

إن حرية المعتقد التي كان يتمتع بها الأسرى المسيحيين في الجزائر وكذلك آباء وقساوسة الفداء بمختلف مذاهبهم الدينية، مكن من إنشاء العديد من الكنائس داخل السجون يقصدها الأسرى كل يوم احد من الأسبوع وفي أيام رأس السنة الميلادية في وقت مبكر بينما يفضل البعض منتصف الليل على وقع الموسيقى؛ فالأب "دان" أحصى ثلاثة كنائس سنة 1643 وهي: كنيسة الثالوث المقدس في سجن الباشا أو ما عرفوا بـ "الماثوريين" وكنيسة القديس "روش" في سجن علي بتشين وكنيسة القديسة كاثرين⁽²⁷⁾ ، وفي هذا الصدد صرح الأب "غراماي" قائلا: "...لابد من حضور ديني مسيحي كبير وقوي في بلاد المغرب الإسلامي...ولهذا يجب على الكنيسة إرسال مبشرين وقساوسة أكفاء وحيويين إلى البلاد البربرية تحت رئاسة قديس يشرف على عملهم...." (28).

وإذا كنا لا نملك إحصائيات دقيقة حول المسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية تحت تأثير البعثات الدينية ؛ إلا أننا نؤكد على وجود التبشير ومحاولات لنشر الديانة

المسيحية حيث أكد الأستاذ مولاي بلحميسي بان البعثات الدينية كانت تؤدي دور الحروب الصليبية لكن بوسائل أخرى ليبقى الهدف نفسه مع استعمال أسلوب المخدرات الهادئة⁽²⁹⁾ ، وبالتالي فاستمالة العنصر الإسلامي نحو الديانة المسيحية كان من خلال المؤسسات الاستشفائية المسيحية والصيديات التي فتحت داخل السجون حيث يعمل في كل مستشفى حلاق وجراح وممرض، ولم يقتصر التطبيب فيها على المسيحيين فقط بل فتحت أبوابها للأتراك والحضر والمسلمين أيام الوباء والطاعون حتى أن الأب "مونروي" أشاد بهذه الوضعية سنة 1612 قائلا: ".... إن الأتراك والحضر كانوا غالبا ما يأتون إلى هذه المستشفيات.... لقد كان أمرا عجيبا بالنسبة إليهم أن يروا الأسرى المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسات في مدينة الجزائر...."⁽³⁰⁾.

وإدراكا لقيمة الطب والاستشفاء من طرف الأتراك في ظل غياب الرعاية الصحية خلال هذه الفترة حيث تكاد تكون ضريبا من الخيال فعدد الأطباء كان ضئيلا وتذهب بعض المصادر إلى أن الجزائر لم تكن تتوفر على طبيب واحد⁽³¹⁾ ؛ لذلك نشطت المؤسسات الاستشفائية المسيحية في عملها التبشيري، ففي سنة 1575 أسس الأب "كبيسان" المستشفى الأسباني الذي اعتبر أكبر مستشفى في مدينة الجزائر، وفي النصف الأول من القرن السابع عشر قام الأب "سان فانسان دو بول" بإرسال اثنين من إخوانه وهما «M du coudray» و«M.boucher» إلى مدينة الجزائر في مهمة لافتداء ثمانين أسيرا و تمسيح آخرين على أن يرفق هذان المبشران بجراح يعمل على تأسيس مستشفى صغير من أجل الحصول على حق الإقامة المطولة في الجزائر. لقد نجح القساوسة في إثارة دول أوروبا ضد المسلمين وأخذت الدول الأوروبية تعتمد عليهم في تبرير غاياتها وتوجيه مقاصدها السياسية، واجتمعت المصلحة المسيحية بالمصلحة السياسية؛ حتى أصبح ي قناصلة فرنسا بالجزائر هم ممثلي المسيحية في أرض المسلمين⁽³²⁾ ؛ وفيما يلي جدول لقائمة اللازاريين المبعوثين إلى الجزائر بين سنوات 1646 - 1827⁽³³⁾.

اسم المبعوث	معلومات متفرقة حوله
-------------	---------------------

أرسل كقنصل إلى مدينة الجزائر في جويلية سنة 1646 وكان قبل ذلك يشتغل في سلك المحاماة.	Jean baree
أرسل كمبعوث كهنوتي وكان طبيبا، قدم خدمات الطب والاستشفاء لصالح الأسرى المسيحيين في الجزائر، توفى بسبب مرض الطاعون سنة 1647 وهو نفس المصير الذي تلقاه المرسلان من بعده jean le sage سنة 1648 و jean dieppe سنة 1649.	Boniface nouvelly
عين مبعوثا كهنوتيا سنة 1650، عرف بحماسة خدمته للأسرى المسيحيين في الجزائر.	Philippe le vacher
وصل إلى الجزائر سنة 1662 لخلافة " فيليب لو فاشي" وتوفي سنة 1663.	Benjamin huguier
قدم إلى الجزائر سنة 1663، اعتمد كقنصل فرنسا في الجزائر سنة 1673.	Jean le vacher
قدم إلى الجزائر بعد توقيع معاهدة السلم بين فرنسا والجزائر سنة 1685، قتل بقذفه من فم مدفعية.	Michel montmasson
كلف بمهام الدعاية والتبشير في الجزائر بين سنوات 1686 - 1693.	Joseph glancha
تولى المهام بين سنوات 1693 - 1705.	Yves laurence
امتدت مهامه من 1705 - 1736.	Lambert duechesne
قدم إلى الجزائر سنة 1736، توفى بسبب الطاعون سنة 1740.	Pierre faroux
توفي سنة 1740 بسبب الطاعون بعدما خلف " بيير فارو".	Pastry
تولى المهام بين سنوات 1741 - 1743 أصيب بمرض وعاد إلى فرنسا للعلاج ثم رجع مرة أخرى للجزائر حتى توفى في نهاية سنة 1745.	Charle marie gabriel

أدى مهامه من سنة 1843 إلى 1846.	Adrien poissant
بالإضافة إلى مهامه كمبعوث كهنوتي منذ 1746 فقد شغل منصب قنصل فرنسا بالجزائر لمدة سنة.	Arnoult bossu
شغل مهامه من سنة 1757 إلى غاية 1763.	Theodore groseille
تولى المهام من 1763 إلى غاية 1765.	Charles louis lapié
دامت مهامه من 1778 إلى 1782 ترك الجزائر مرغما بسبب محاولة اغتيال من طرف الأسرى الفرنسيون الذين لم يتم فداؤهم.	Claude cosson
جاء إلى الجزائر سنة 1802 وتوفي بها سنة 1811.	Salvator clariava
جاء إلى الجزائر سنة 1823 لكنه سرعان ما عاد إلى فرنسا لأسباب صحية.	Jean François chossat
جاء إلى الجزائر سنة 1825 وغادرها سنة 1827 بسبب المشاكل الفرنسية الجزائرية التي مهدت للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.	jean François Solignac

جدول (2): قائمة الكهنة اللازاريين المبعوثين إلى الجزائر بين 1664 - 1827.

الخاتمة:

إن الملاحظ عند دراسة قضية الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني يرى أن أغلب المصادر الأوروبية قدمت صورة سوداء عن حالتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، لكن عند التدقيق في الأمر سنفاجئ بالحقد الصليبي ضد الجزائر من جهة، ومن جهة ثانية الشراسة التي دافع بها أسرى مسيحيين متحولون للإسلام عن المسيحية حتى إن الكثير منهم ماتوا يدافعون عن الدولة العثمانية. لقد شهدت حياة الأسرى المسيحيين في الجزائر تطورا ملحوظا مقارنة بوضعية السكان المحليين فالمستشفى الاسباني العام في الجزائر مثلا لم ينقطع عن استقبال أطباء من أوروبا على طول العهد العثماني في الوقت الذي كان فيه الطبيب بالشعوذة ينخر تفكير العامة من السكان الجزائريين.

إن تقارير الأسرى المسيحيون حملت الكثير من اللامصداقية كونها كانت عبارة عن ملاحظات وبهذا كثيرا منها حمل التضخيم في طياتها خدمة للكنيسة الأوروبية

والسلطة المركزية من أجل الإسراع في التحرير وكسب تعاطف الجماهير الأوروبية والتفكير جدياً في القضاء على قوة الجزائر الدولية.

إن ظاهرة الأسر لم تكن خاصة بالجزائر وإنما هي ظاهرة طغت على البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة، فالأسرى الذين وقعوا في يد البحارة الجزائريون يمكن إدخالهم في إطار أسرى حرب وليس كما كانت تصوره المصادر الأوروبية.

إن الحرية الدينية للأسرى المسيحيين وكذلك جمعيات افتدائهم ساهمت في تقديم خدمات كبيرة لبلدانها الأصلية كالجوسسة والتبشير والدعاية وكانت ضد مرغوبة خاصة عندما تمارس ضد أعداء المسيحية وتدخل في إطار الحرب المقدسة على حسب مزاعم الأوروبيين.

الهوامش:

1- رحمونة، بليل، العلاقات التجارية لآيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيلىا وليفورن من 1700 إلى 1827 ، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 2002- 2003 ، ص: 146.

2- إسماعيل، العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776- 1816، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص: 31.

3- وليم، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب وتقديم: عبد القادر زيادية)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 132.

4- Henri,Klein, feuillets d'el-djezair souvenirs de l'ancien et de nouvel alger,5eme volume,imp orientale fontana Freres,alger,1913,p :64

5- Laugier, De Tassy, histoire du royaume d'alger, editions loysel, paris,1992,p :168

6- A.Berbrugger, « captif et patronne a Alger en 1640 » in R.A ,n 08,1864,p :307.

7- بومدين، دباب، الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519- 1830 ، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، 2008، ص: 77- 80.

8- جون ب، وولف، الجزائر وأوروبا (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 122 .

9- Fernand, braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II(les événement, la Politique et les hommes),3ème édition, armand colin, paris,1976,p :199.

10- Haedo,fray diego de, « de la captivité a alger»,in R.A ,n° 39,1895,pp :56-58.

11- Robert,davis, esclaves chrétiens maitres musulmans esclavage blanc en mediterrannée,editions jacqueline Chambon, paris ,2006,p :147.

12- PANANTI, Relation d'un séjour à Alger, contenant des observation sur l'état actuel de cette régence

13- rapports des états barbaresques avec les puissances chrétiennes, et l'importance pour celles-ci de les subjuguier, Trad. de l'anglais par Blaquiere, Le Normant, imprimeur - libraire, Paris, 1817, p : 490.

Laugier, De Tassy,op.cit,pp :165-166.

14- وليام، شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824) تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص: 99- 101.

15- جيمس ليندر، كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب (ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 56- 60.

16-Emanuel, de aranda, relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger, 3eme Edition, bruxelle,1662,pp :201- 202

17- Laugier,De Tassy,op.cit,p :157.

18- Abdelhadi,ben mansour,alger XVI e XVII siècle (journal de jean- baptiste gramaye), editions du cerf,paris, 1998,pp :105-106.

19- Pierre, dan, histoire de barbarie et ses corsaires,livre 03,imprimerie pierre rocolet,paris 1637,p :345.

20- جون ب، وولف، المرجع السابق، ص 288.

21-Albert, sacerdoti, « l'esclavage chretien en barbarie au XVIII siecle » in R.A ,n°93,1949, p :135 .

22- Moulay, belhamissi, les captifs algeriens et l'europe hretienne,entereprise national de livre, alger,1988,p : 90.

23- Salvatore,bono, les corsaires en mediterrannée (traduc : ahmed somai),edition la porte,paris,2000,p :99.

24-Ernest, MERCIER, Histoire DE l 'Afrique septentrionale, Tome 3, E. Leroux éditeur, Paris, 1891, p : 237.

25- Histoire illustrée de l'afrique Abdelhadi,ben mansour,op.cit,pp :250- 251.

26- مولود قاسم، نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830،

ج1، الطبعة الاولى، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص: 223- 224.

27- Pierre, dan,op.cit,pp :430-431.

28- Abdelhadi, ben mansour, op.cit,p :255.

29- Moulay, belhamissi,op.cit,p :30.

30- Jean, mesnage, le christianisme en afrique (église, mozarabe, esclaves chrétiens), adolphe jourdan, paris,1915 P :202.

- 31- عائشة، غطاس، «الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الثقافة، العدد 76، الجزائر، 1983، ص: 127 .
- 32- عبد الرحمن، بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 03، ط07، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 163 .
- 33- GLEIZES C. M (Raymond), CAPTIVITE & Œuvres, De Saint Vincent Paul en Barbarie, Librairie Le coffre, Paris 1933,p :191-199.